الكتاب الأول من محاورة "عن القوانين" (De Legibus) لشيشرون: ترجمة وتعليق

أ.د. / جمال الدين السيد أبو الوفا
كلية الآداب – جامعة المنيا
أ/ بلال صبحى إسماعيل
كلية الآداب – جامعة القاهرة

مقدمة.

من أهم مؤلفات "شيشرون" في السياسة والفكر السياسي عمليه "عن الجمهورية" (De Republica) و "عن القوانين" ((De Legibus)) فهما يهدفان في المقام الأول إلى تلخيص تعاليم حكماء الإغريق السياسية وتقديمها للرومان بلغة لاتينية سهلة وواضحة وجذابة.[١]

ويعد عمليّ شيشرون في الفلسفة السياسية "عن الجمهورية" و"عن القوانين" بمثابة توضيح لنظريته السياسية، وهما عملان يدينان بالكثير لأفلاطون شكلا ومضمونًا، ولكنهما أتيا من منظور رجل الدولة الروماني الذي يفضل الحكمة العملية على الحكمة النظرية.[٢]

في بداية محاورة "عن القوانين" نجد حوار بينه وبين صديقه العزيز أتيكوس وكذلك أخيه كوينتوس، وفيها لم يحدد شيشرون الوقت الذي جرى فيه هذا الحوار، ولكننا يمكننا أن نخمن أن هذا الحوار المتخيل قد جرى قبل شروعه في كتابة هذه المحاورة أي عام ٥٠ ق.م.، فشخصية شيشرون هي التي توجه الحوار في هذه المحاورة. أما في محاورة "عن الجمهورية" فالوضع مختلف إلى حد ما؛ فشخصية شيشرون تظهر فيها أيضًا، ولكنها تتوقف عند حد المقدمات فقط، التي تستهل كل زوجين من الكتب التي تشكل بناء المحاورة بوحداتها الثلاث. ولا يعني عدم كون شيشرون طرفًا أساسيًا في الحوار أنه لن يعبر عن وجهة نظره الشخصية، فهو بإمكانه أن يعبر عن آرائه من

---

[1].Cross. R. C., & Woozley. A. P., (1970), Plato's Republic A philosophical Commentary . London. p. 16.

[٢]. أحمد عتمان. (١٩٨٩)، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري حتى نهاية العصر الذهبي، عالم المعرفة، العدد ١٤١. الكويت. ص ١٦٧.

خلال شخصية حوارية واحدة أو أكثر. ونعرف من رسالة وجهها شيشرون إلى أخيه كوينتوس أنه آثر أن يجعل الحوار في "عن الجمهورية" يدور على لسان شخصيات من الماضي لأنه كان يخشى الإساءة للشخصيات السياسية المعاصرة.[١]

الشخصيات الحوارية في عمله "عن القوانين" هي شيشرون نفسه وأخيه كوينتوس وصديقه أتيكوس. ويقع الحدث في منزل شيشرون الريفي بأربينوم بالقرب من الغابات والريف. أما المتحاورون فقد صوروا على طبيعتهم الواقعية: أي أن كوينتوس إنسان مفرط في التفاؤل، وشيشرون محافظ معتدل، وأتيكوس إبيقوري مؤمن بآرائه الفلسفية. في الكتاب الأول يشرح "شيشرون" النظرية الرواقية التي تقول إن القانون ليس وليد العرف الذي وضعه الناس، بل إنه أمر فطرى في نفوس كل البشر فهو بالتالي من عند الإله، ويعرّف القانون كما عرّفه الفلاسفة الرواقيون ويصفه بأنه " التفكير الصحيح المتفق مع الطبيعة".[٢]

ويعالج في الكتاب الأول القانون الطبيعي والقانون الإلهي وقانون الوظائف العامة وعلاقتها بالدين؛ وفي الكتاب الثاني يشرح شيشرون أن القوانين كي تكون فعالة فإنها لا تُستمد من تشريع مثالي يتعذر تنفيذه، بل من الموروث التشريعي الروماني، ومن المبادئ الإرشادية التي توجد في القانون الديني المقدس؛ وفي الكتاب الثالث يقدم شيشرون نصًا للقوانين المتعلقة بالموظفين واختصاصاتهم. [٣]

ويعرف "شيشرون" القانون في الكتاب الأول في الفقرة رقم (١٨) من خلال حوار بين "شيشرون" و " كوينتوس" بقوله:

" أن القانون هو أسمى عقل كامن في (الراسخ في) الطبيعة، الذى يأمر بما يجب فعله، ويمنع ما هو مخالف له. وهذا العقل نفسه، عندما يترسّخ ويكتمل في ذهن الإنسان، يُسمّى قانونًا."

وفي الفقرة رقم (١٩) يقول:

---

١. جمال الدين السيد أبو الوفا، على عبد التواب على (٢٠٢٤)، " إطلالة على جمهورية شيشرون""، مجلة أوراق كلاسيكية، العدد الحادى والعشرون، القاهرة. ص٢٨٢.... وكذلك راجع:

Powell. J. G. F., (2001), " Were Cicero's Laws the Laws of Cicero's Republic? ", in Powell. J.G.F., and North. J. A., (eds.), Cicero's Republic, London. p. 21.

2.Keyes. C. W., (1998), Cicero: On the Republic, On the Laws, Cambridge.p. 21.

3. Powell. J. G. F.,(2006), M. Tulli Ciceronis De re publica, De legibus, Cato maior de senectute. Laelius de amicitia, Oxford. p. 35.

" إن القانون هو الحكمة (prudentia) ، وتتمثل قوته في أن يأمر بالفعل الصحيح وينهى عن ارتكاب الجريمة؛ ويعتقدون أن هذه التسمية اشتقت من اللغة اليونانية (νόμος) من مبدأ "إعطاء كل ذي حق حقه". أما أنا فأراها مشتقة في لغتنا (اللاتينية) من فعل يقرأ (legere). فإذا كان (اليونانين) يجعلون جوهر القانون في العدالة. "

ويذكر في الفقرة رقم (٢٠) أن أصل العدالة أو القانون يرجع إلى الطبيعة حيث يقول:

" سأعيد أصل العدالة (القانون) إلى الطبيعة، التي يجب أن تقودنا في هذه المناقشة كلها، فهي الدليل الذي ينبغي أن يوضح موضوعنا."

ويؤكد على أن أصل العدالة من الطبيعة من خلال الفقرة رقم (٣٥) و(٣٦)

ففي الفقرة رقم (٣٥) يقول: **" إن العدالة في حقيقتها نابعة من الطبيعة."**

وفي الفقرة رقم (٣٦) يقول: **" إن العدالة مصدرها الطبيعة."**

وقد لقى القانون تبجيلًا لأنه يجد فى العقل سندًا، والعقل فى النهاية قدسى، وهذا يتفق مع المبدأ الرواقى أن العقل فى المدينة المثالية يضع القوانين متفقة مع العقل الإلهى، وعلى ذلك اعتبر القانون هبة الرعاية الربانية.[١]

ولقد تحدث "شيشرون عن القانون الأسمى والعقل الإلهى من خلال عدة فقرات، ففى الفقرة رقم (١٩) يقول:

" كما يبدو لي في الغالب، فإن بداية القانون لا بد أن تُستمد من القانون الأسمى (المقصود به هنا القانون الإلهى غير القانون الوضعى)، فهو قوة الطبيعة، وهو عقل الحكيم ومنطقه، "

وفى الفقرة رقم (٢٢– ٢٣) يقول"

" إن هذا الكائن الذي نسمّيه الإنسان: العاقل، الذكي، المتعدد القدرات، الحاد الفهم، القوي الذاكرة، المملوء عقلًا وتفكيرًا وتدبيرًا ـ قد منحه الإله الأعلى منزلة رفيعة. فهو وحده من بين جميع الكائنات الحية، يشترك في العقل والتفكير، بينما تفتقر بقية الكائنات إلى ذلك تمامًا. وأي شيء لا في الإنسان وحده بل في السماء والأرض كلّها، أسمى وأقدس من العقل؟ وعندما

[١] د ف. ج. و (١٩٦٤)، تاريخ الأدب الرومانى، ترجمة: محمد سليم سالم، راجعه: محمد صقر خفاجة، مركز كتب الشرق الأوسط، ج٢، القاهرة. ص ١٤٦.

يكتمل العقل ويبلغ تمامه، يُسمّى حينها بحق "الحكمة". وبما أنه ليس هناك ما هو أسمى من العقل، وهو موجود في الإنسان كما هو في الإله. "

ويستطرد حديثه فى بقية الفقرة رقم (٢٣) بقوله:

" ثم إن كانوا جميعًا (البشر) خاضعين للسلطات نفسها وللقوة نفسها، فكيف لا يخضعون أعظم خضوع لهذا النظام السماوي، ولهذا العقل الإلهي، ولهذا الإله القدير؟ "

وعند حديثه عن "القوانين الملكية" (Leges regiae) يوضح أنها كانت لوائح (نصوص) قانونية معروفة على نطاق واسع طبقًا للرأى العام, منذ عصر الملوك، ولكنها فى وقت متأخر جدًا تم تدوينها وهذه القوانين كانت فى الأصل " قوانين بابيريوس" (ius papirianum) .[١]

وعند حديثه عن قوانين "الألواح الثنى عشر" (XII tabulae) يوضح أن العدالة كانت تمارس بطريقة غير مؤكدة فقد تسبب هذا الشعور بالحاجة إلى قوانين مكتوبة تطبق على الجميع دون تمييز، ولذلك فإنه فى عام ٤٥١ ق. م تم اختيار عشرة رجال بهدف محدد وهو تدوين أو كتابة القوانين للشعب الرومانى وتم فى هذا العام نقش عشرة ألواح وفى العام التالى نُقش لوحان.[٢]

وقد تحدث "شيشرون" على لسان "كوينتوس" عن الألواح الاثني عشر بقوله:

"كوينتوس: لا أطلب فيه قوانين "ليكورجوس"، ولا قوانين "سولون"، ولا "كارونداس"، ولا "زاليوكس"، ولا حتى قوانيننا في الألواح الاثنى عشر أو قرارات العامّة، بل أعتقد أنك ستمنح اليوم في حديثك هذا لا الشعوب وحدها، بل الأفراد أيضًا، شرائع للحياة ونظامًا للانضباط."

كانت هذه القوانين تتضمن من بين النظم الأخرى سلطة "رب الأسرة" (Patria potestas) و"قانون الزواج"(ius connubii)، والوراثة والوصاية والملكية والعقوبات على من يرتكب أى جريمة. إن قوانين الألواح الاثنى عشر كانت تشكل أساس القانون الرومانى وعرفت بالأكثر كمالًا، والتى استطاعت المعرفة الإنسانية أن تتصورها.[٣]

لقد أدرك الرومان تمامًا وهم رجال عمليون بطبيعتهم كل الحالات الممكنة لمخالفة القوانين والمنازعات والمشاحنات وتدراكوها، ولقد كتبت هذه الألواح بلغة لاتينية قديمة ولكنها واضحة،

1. Zetzel. J., (2017), On the Commonwealth and On the Laws. 2nd ed. Cambridge: Cambridge University Press. p. 77.
2. Mackendrick.Paul., (1989), The Philosophical work of Cicero. Backworth. London. p. 34.
3. Schmidt. P. L., (2001), "The Original Version of De re publica and De legibus,"in Powell.J.G.F., and North. J. A., (eds.), Cicero's Republic, London. p. 11.

ودقيقة وكونوا منها قوانين العدالة التى يجب أن يعرفها كل رومانى، وقد كانوا فى المدارس يحفظونها عن ظهر قلب، وقد قاموا بالتعليق عليها ودراستها حتى يجعلوها مفهومة وواضحة دائمًا.[١]

ترجمة الكتاب الأول من عمل شيشرون "عن القوانين" (De Legibus)

١. (١) **أتيكوس:** فى الواقع إنني أعرف هذا البستان المقدس وشجرة البلوط هذه، اللذان قرأت عنهما كثيرًا لدي "ماريوس" [٢]. لو أن شجر البلوط هذا مازال موجودًا (باقيًا)، هذا هو بالتأكيد، فهو شجر قديم للغاية.

كوينتوس: عزيزنا "أتيكوس"، في الحقيقة أنه مازال باقيًا، وسيبقي دائمًا، لأنه زُرع من خلال الطبيعة. ليس هناك جذع شجرة زرعه مزارع يستطيع أن يبقي لمدة طويلة من الزمن مثل تلك التي زرعتها أبيات شاعر.

أتيكوس: كيف هذا في النهاية يا "كوينتوس"؟ [٣] ما نوع الزراعة التي يزرعها الشعراء؟

لأنه يبدو لي أنه عندما تمتدح أخاك فإنك تدعم نفسك أيضًا.

كوينتوس: ربما يكون ذلك صحيحًا، مع ذلك فالحقيقة أن الأدب اللاتيني سيظل ذات صوتًا مسموعًا، حتى لو لم تبق شجرة البلوط في هذا المكان، التي تُسمي باسم "ماريوس" ، وهذه الشجرة، كما قال "سكايڤولا "[٤] عن أخي "ماريوس" أصبحت شجرة عتيقة عبر عصور لا حصر لها".

---

1. Atkins. W. J., (2013), Cicero on Politics and the Limits of Reason . The Republica and Laws. Cambridge University Press. p. 27.

٢. من المحتمل أن هذا البيت من الرسائل التى كانت إلى أتيكوس انظر: (Ep.ad Att.II. 15,3.) مكتوبة في أبريل عام٥٩ ق. م أو قبلها ونقلت منه؛ ومن المحتمل أيضًا أن "ماريوس" اسم قصيدة ملحمية مفقودة نظمها شيشرون وتحدث فيها عن جايوس ماريوس، وقد وصلنا منها العديد من الإشارات، منها واحدة ذُكِرت في عمل "شيشرون" "عن العرافة" (De. Div. 1.106)
https://la.wikipedia.org/wiki/Marius_(Cicero)

٣. كان "كوينتوس" شاعرًا، عُرف بأنه كاتب التراجيديا على غرار النماذج اليونانية، وفي عام ٥٤ ق.م، بينما كان يعمل تحت قيادة " قيصر" في الغال، ألّف أربع تراجيديات في ستة عشر يومًا (رسائل إلى الأخ كوينتوس) (Ep.ad Quintum Fr. III. 6,7.)

٢. إنني افترض أنك لا تصدق حقاً أن مدينتك (المحببة) أثينا قد تمكنت من الحفاظ في قلعتها على شجرة الزيتون الأبدية (التى لا تموت)[١]، أو أن النخيل طويل القامة والمزدهر الذي قال أوديسيوس الهومري إنه رآه في ديلوس[٢] وهو ما يظهر هناك اليوم، حيث هناك العديد من الأشياء الأخرى فى العديد من الأماكن المختلفة تبقى فى أفكار البشر لفترة أطول مما تستطيع الطبيعة أن تبقيها موجودة، ولهذا فإن شجرة البلوط "التي وُلد منها قديمًا رسول زيوس الذهبي في هيئة عجيبة مدهشة،"[٣] يمكن أن تكون هذه ولكن حتي لو عصفت بها الرياح أو بلاها الزمن، فستظل هنا دائما شجرة بلوط أخرى، وسيسمونها "شجرة بلوط ماريوس".

٣. **أتيكوس:** لا شك في ذلك طبعًا. لكني الآن أسالك يا كوينتوس، بل الشاعر نفسه، هل هذه الأبيات من نظمه هي التي جعلت شجرة البلوط هذه تُذكر، أم أنك تلقيتها من ماريوس كما كتبت؟

ماركوس: سأجيب على سؤالك بالطبع، لكن أجب على سؤالي أولًا يا أتيكوس: أليس صحيحًا أن رومولوس، بعد موته، جاء ليوليوس بروكلوس وهو يمشي قريبًا من بيته، وأخبره أنه أصبح إلهًا ، وسُيدعي " كويرينوس"، وأمر أن يُبني له معبد في هذا المكان[٤]؟ وهل حقًا في أثينا بالقرب من منزلك القديم[٥] هناك اختطف بورياس أوريثيا كما رُوي؟ هذا ما تُخبرنا به هذه المحاكاة (التقليد).

٤. **أتيكوس:** ما الغرض من سؤالك، ولماذا تسأل في هذه الأشياء؟

ماركوس: لا شئ في الحقيقة، إلا أنه ينبغي عليك التدقيق في الأمور التي نُقلت إلينا عن طريق الروايات والذاكرة.

---

٤ . يعني هذا أن "سكايڤولا" قد أدلى بالفعل بهذا التصريح حول قصيدة "شيشرون"، أو أن " سكايڤولا " هو شخصية في قصيدة ماريوس لـ "شيشرون" تحدث بهذه الكلمات. لذلك قد يكون الإقتباس من "ماريوس"، أو ربما من حكمة ساخرة لسكايڤولا. انظر: (II, 47 and Index.)

١ . ادعى الأثينيون أن شجرة الزيتون التي تقع على قمة الأكروبوليس (Acropolis) غرب إريخاثيوم (Erechtheum) قد زرعت من قبل الربة أثينا (Athena)، وكانت المصدر الرئيسي لجميع أشجار الزيتون في أتيكا (Attica).

٢ . انظر: (Odyssey,VI, 162-163) حيث يقارن أوديسيوس (Odysseus) نوسيكا(Nausicaa) بشجرة النخيل هذه.

٣ . في قصيدة "ماريوس" المفقودة والتي وصلتنا إشارات منها في عمل شيشرون "عن العرافة"، أن "ماريوس" كان ينظر إليه بعد المعركة التى قادها في اتجاه الشرق للنسر بعد صراع ناجح مع الثعبان بإعتبارها فأل خير من قبل ماريوس انظر: (De Divin .1,106.)

٤. انظر: (Livy,1.16.)

٥. يقع المنزل القديم في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة، بالقرب من نهر إليسوس (Ilissus) انظر: (Pausanias ,1, 19., Plato, Phaedrus 229 B-C.)

أتيكوس: ولكن هناك أسئلة تُطرح عن "ماريوس"، سواء كانت صحيحة أم لا، وبخاصة أن الأمر قريب العهد ويتعلق بمواطن من "أربينوم"، فإنهم يطلبون منك الحقيقة.

ماركوس: أما أنا فبحق هرقل أرغب ألا يُظن أننى كذابًا. غير هؤلاء ياعزيزي تيتوس يتصرفون بحماقة، إذ يطلبون في مثل هذا المقام بالحقيقة كما لو كنت شاهد عيان وليس كشاعر، ولا شك أنهم هم أنفسهم يعتقدون أن نوما قد تحدث مع الإلهة " إيجريا"[١]، وأن النسر قد وضع التاج على رأس " تاركوينيوس" [٢].

٥. **كوينتوس:** أفهم يا أخي أنك تري أن القوانين التي يجب مراعاتها عند كتابة التاريخ شأنًا، (وللقوانين) في الشعر شأنًا آخر.

ماركوس: نعم يا "كوينتوس"، ففي التاريخ ينبغي أن تُروي الأحداث اعتمادًا على الحقيقة، أما في الشعر فأغلبها يُقصد به المتعة. ومع ذلك حتي عند "هيرودوت" أبو التاريخ، وعند " ثيوبومبوس"، نجد حكايات (خرافية) لا تُحصي.

(٢) أتيكوس: لقد أُتيحت لي الفرصة التى كنت أتمناها، ولن أُضيعها.

ماركوس: أيٌ فرصة تلك يا " تيتوس"؟

أتيكوس: لقد طُلب منك منذ زمن، بل أُلحّ عليك، أن تكتب التاريخ. فهم يعتقدون أنك إذا تناولت هذا الفن يمكنك أن تُثبت أننا لسنا دون اليونان فيه. ولتسمع رأيي أنا شخصيًا: لا يبدو لي أنك مدين بهذا العمل (الواجب) فقط لأولئك الذين يجدون متعة في كتبك، بل للوطن نفسه أيضًا، إذ هي محفوظة بفضل عملك، ذلك أن التاريخ غائب عن أدبنا (اللاتيني) كما أعلم أنا وكثيرًا ما أسمع منك. وأنت بلا شك قادر على أن تؤدي هذا الواجب خير أداء، إذ هو في جوهره كما تراه دائمًا عمل خطابي قبل كل شيء.[٣]

---

[١] . وفقًا للموروث التقى الملك "نوما" (Numa) بشكل متكرر مع الإلهة "إيجريا" (Egeria) في بستان مقدس انظر: (Livy,1.21.)

[٢] . قبل أن يصبح تاركينيوس بريسكوس (Tarquinius Priscus) ملكًا قيل إن نسرًا خفق قبالة قبعته، ودار حولها مع صرخات بصوت عال، ثم استبدلها على رأسه، وبالتالي تنبأ بعظمته المستقبلية انظر: (.Livy,1. 34).

[٣] . انظر: (Cicero, De Oratore, II. 62.)

٦. ولهذا السبب نرجوك أن تبدأ، وأن تخصص وقتًا لهذا العمل، الذي لا يزال عند مواطنينا مجهولًا أو متروكًا؛ فبعض السجلات (الحوليات) التي كان يكتبها كبار الكهنة، والتي لا يمكن أن يكون هناك شيء أمتع منها، وعندما نأتي إلى "فابيوس"، أو إلى "كاتو" الذى يتردد اسمه دائمًا على شفتيك، أو إلى " بيسو"، " فانيوس"، أو" فينونيوس"، فإنك تجد مع أن لكل واحد منهم قدرًا من القوة أكثر من الآخر، لكن ما أضعفهم جميعًا! أما (كويليوس) "أنتيباتر"، الذي كان معاصرًا لـ "فانّيوس"، فقد كتب بأسلوب أكثر حيوية واندفاعًا، وكانت له قوة ريفية خشنة بلا رونق ولا صقل، لكنه استطاع أن ينبه الآخرين إلى أن يكتبوا بمزيد من الدقة غير أن الذين جاؤوا من بعده مثل "جيلّيوس"، و"كلوديوس"، و"أسيليو"، فلا قيمة لهم إذا قورنوا بـ "كويليوس"، بل هم أقرب إلى ضعف الأوائل وجهلهم .

٧. ولماذا عليّ أن أذكر ماكير[١] ؟ إن إسهاماته بها شئ من الحدة والظرف، لكنها ليست نابعة من ثراء الثقافة اليونانية العميقة، بل من كتابات لاتينية سطحية. وفي خطبه نجد أمورًا كثيرة ملائمة للخطاب اللاتيني. أما "سيسسينّا"، صديقه، فقد فاق بسهولة جميع كتابنا الذين عُرفوا حتي الآن، باستثناء من لم ينشر بعد فلا نستطيع الحكم عليهم، ومع ذلك لم يُعد يومًا في عداد الخطباء، وفي كتاباته للتاريخ كان يكتب بأسلوب طفولي، إذ يبدو أنه لم يقرأ من اليونان إلا "كليتارخوس"، بل أراد فقط أن يُقلده. لكن حتي لو استطاع أن يبلغه، لظل بعيدًا عن الكمال المنشود، ولهذا فالمهمة مهمتك أنت ومنك يُنتظر هذا العمل إلا إذا كان لـ "كوينتوس" رأي آخر.

٨.(٣) **كوينتوس:** أما أنا فلا شيء عندي، وقد تحدثنا كثيرًا في هذا الأمر، غير أن بيننا خلافًا طفيفًا.

أتيكوس: وما هو إذن؟

كوينتوس: (إننا نختلف حول) أي من الفترات عليه أن يبدأ منها كتابة (التاريخ). فأنا أرى (أنه يجب أن يبدأ) من الفترات المبكرة؛ إذ إن ما قبلها كُتب كتابة لا تستحق حتى أن تُقرأ، أما هو (ماركوس) نفسه يريد الكتابة عن عصره الخاص، حيث يشمل الأحداث التي عايشها بنفسه.

---

[١]. أيميليوس ماكير: وُلِدَ في ڤيرونا وكانت له قصائد يتحدث فيها عن الطيور والحيات والفوائد العلاجية للنباتات، وقيل إنه كان يحاكي فيها الشاعر نياكاندروس من كولوفون. مات عام ١٦ ق. م في آسيا، وقد ذكره أوڤيديوس في ديوان الأحزان.

أتيكوس: وأنا في الحقيقة أميل إلى نفس الرأي، من أجل أهم الأحداث التي كانت في ذاكرة أجيالنا؛ ثم إنه سيمجد مآثر أعزٌ أصدقائنا "جنايوس بومبيوس"، وسيتناول أيضًا ذلك العام العظيم الخالد (عام قنصليته)، وهذا أفضل أن يُروي على يديه هو، من أن يُعاد الحديث عن "ريموس" و"رومولوس"، كما يقول المثل.[١]

ماركوس: أفهم تمامًا يا أتيكوس أنكم تتطالبونني بهذا العمل منذ زمن، ولا أرفض ذلك لو أُتيح لي وقت فراغ، إذ إن عملًا عظيمًا كهذا لا يمكن أن يُؤخذ لا بعقل مشغول أو بيد مثقلة بالمهام، بل يحتاج إلى كليهما معًا: التفرغ الذهني والتحرر من القلق (الأشغال).

٩. **أتيكوس:** وماذا عن سائر ما ألّفته، وهو أكثر مما كتب أحد من أدبائنا؟ أي وقت فراغ أُتيح لك إذن حتي أنجزته ؟

ماركوس: تتاح أحيانًا أوقات فراغ صغيرة متفرقة[٢]، وأنا لا أدعها تضيع سدى، بل أجعلها تُلحق بما نكتب، كما لو أُعطي المرء أيامًا يقضيها في الريف فأضافها إلى حسابه. وأما التاريخ فلا يمكن أن يُشرع فيه إلا إذا أُعد له وقت فراغ، ولا يُستطاع إتمامه في زمن قصير، كما أنني بطبعي يظل ذهني متعلقًا بما بدأته، فإذا صُرفتُ إلى أمر آخر لم أستطع بسهولة أن أستأنف ما انقطع، بل أُنجز ما شرعت فيه أيسر من أن أعود فأصل ما انقطع.

١٠. **أتيكوس:** إن كلامك هذا يستلزم تعيينك في سفارة ما[٣]، أو نوعًا من التفرغ الحُر الهادئ.

ماركوس: حقًا لقد كنت أعتمد على أوقات الفراغ ولكن مع تقدم العمر، كان يجب علىّ أن لا أرفض أن أجلس وفق عادة الآباء على كرسي القضاء، فأجيب من يستشيرني فأؤدي بذلك واجب الشيخوخة في صورة ممتعة وشريفة[٤]. وهكذا كان يمكنني أن أُعطي من الجهد بقدر ما أشاء سواء لما تطلبه أنت أو لأعمال أوفر وأعظم بكثير.

---

١ . تعبير يستخدم لأي شيء قديم أو "عتيق " (antediluvian).

٢ . كلمة Subsicivus كانت في الأصل مصطلحًا تقنيًا يستخدمه المسّاحون للإشارة إلى قطع صغيرة من الأرض التي تم تركها "في استطلاعاتهم". وفي وقت لاحق جاء للدلالة على "بقايا الطعام" أو "البقايا والفضلات" من أي نوع.

٣ . من الواضح أن كلمة سفارة Legationem إشارة إلى "سفارة حرة" (Libera legatio)، التي يحق لأعضائها الحصول على جميع امتيازات السفير، لكي يتم تركه خالي من الواجبات الرسمية. انظر الكتاب الثالث، ٩، ١٨.

٤ . أثناء الانسحاب من العمل النشط كمحام دفاع في المحكمة، كان يأمل في مواصلة الممارسة الرومانية القديمة المتمثلة في إسداء المشورة للوكلاء.

١١. (٤) **أتيكوس:** إني أخشى ألا يتقبل أحد عذرك هذا، وأن يظل واجبًا عليك دائمًا إلقاء الخطب، ويزداد هذا الأمر وضوحًا خاصة وأنك غيرت أساليبك وتبنيت أسلوبًا مختلفًا في الخطابة.[١] فكما أن "روسكيوس"[٢] صديقك في شيخوخته قدم الخطب المنغمة [أكثر نعومة]. (كان يغني الأوزان الموسيقية بنغمة ألين وأبطأ)[٣]، مثلما كانت آلات الفلوت تتبنى إيقاعًا أبطأ، كذلك أنت أيضًا بدأت تبتعد يومًا بعد يوم عن الجدل الشديد الذي كنت معتادًا على استعماله في أعلى مستوياته، وأصبحت تميل إلى التخفيف حتى أَضحت خطاباتك قريبة جدًا من أسلوب الفلاسفة الهادئ. ومع أن الشيخوخة – حتى في أُقصي درجاتها – يُظن أنها تستطيع احتمال ذلك، إلا أنني لا أري أنَه سيُسمح لك بالابتعاد عن القضايا أو أن تأخذ راحة منها.

١٢. **كوينتوس:** أننى أظن حقًا أنه سيكون مقبولًا لدى شعبنا لو كرست نفسك للإجابة عن مسائل القانون، لذلك أرى أنه عندما تجد الوقت مناسبًا، ينبغي أن تجرَب ذلك .

ماركوس: صحيح يا "كوينتوس"، لو لم يكن في التجربة أي خطر، لكن أخشى أنه بينما أسعي لتقليل الجهد أضاعفه؛ فعمل القضايا الذي لا أبدا فيه إلا بعد استعداد وتفكير مسبق قد يُضاف إليه الآن عمل تفسير القانون، وذلك لا يرهقني بقدر ما يقلقني لأنه يحرمني من وقت التفكير في الخطابة، ذلك التفكير الذي لم أجرؤ قط أن أدخل أي قضية كبيرة بدونه.

---

[١] . من الواضح أن مثل هذا التغيير في الأسلوب من شأنه أن يجعل الإلقاء أكثر هدوءً وربما أكثر بطئًا.

[٢] كوينتوس روسكيوس جالّوس Q. Roscius Gallus (١٢٦ ق.م– ٢٦ ق. م)، أعظم ممثل في عصره، كان من طبقة الفرسان، وعرف عنه الوسامة، يعد أكثر ممثل ذاع صيته في الفترة الكلاسية حيث أبدع في الكوميديا كما قام بتأدية بعض الأدوار التراجيدية، وكان مقربًا من كل من لوتاتيوس كاتولوس وسولّا، وقد تعلم منه شيشرون الكثير من الأشياء، كما دخل الاثنان في منافسة ودية في محاولة منهم لتحديد أي من بين الخطابة والتمثيل أنسب في توصيل الأفكار والمشاعر، وقد ترافع عنه شيشرون في مرافعة تحمل اسمه وذلك عندما قاضاه جايوس فانّيوس خايريا.

[٣] . يبدو أن هذا هو المعنى لدى شيشرون؛ وهو النظر إلى الملاحظة البالغة الأهمية. ويقال إن هذه الفقرة تتحدث عن تغير أسلوب شيشرون من حيث ميله إلى صياغة جمل أقل طولًا بسبب ضعف رئتيه مع تقدمه في العمر وعدم مقدرته على إلقاء جملة طويلة في نفس واحد، وهذا ما فعله روسكيوس أيضًا عندما تقدم به العمر، وهذه المرونة في تغيير الأسلوب شيء يستوجب الإعجاب، لأن سابقًا كان قد تم توجيه اللوم لهورتنسيوس على عدم تغييره من أسلوبه مع تقدمه في العمر.

١٣. **أتيكوس:** فلماذا لا تشرح لنا هذه الأمور نفسها في أوقات الفراغ (Subsicivis) كما تقول، وتكتب في القانون المدني بعمق ودقة أكثر من غيرك (الآخرين)؟ فأنا أذكر أنك في صدر شبابك كنت تدرس القانون حين كنت أنا أيضًا أزور "سكايڤولا"، ولم أرك يومًا قد كرست نفسك للخطابة بحيث تُهمل القانون المدني أو تحتقره.

ماركوس: إنك تدعوني يا "أتيكوس" إلى حديث طويل، ومع ذلك ما لم يرغب "كوينتوس" أن ننشغل بشيء آخر، فسأقبله، وبما أننا متفرغون الآن، فسأتكلم.

كوينتوس: بل إنني سأستمع بكل سرور. فأي شيء آخر يمكن أن أفعله؟ وأي عمل أفضل من أن أقضي هذا اليوم في الاستماع إلى ذلك؟

١٤. **ماركوس:** لماذا لا نذهب إلى تلك الأماكن التي نجلس فيها عادة؟ حيث نستريح بعدما نمشي، ولن ينقصنا بالتأكيد متعة الحوار، إذ يسأل بعضنا بعضًا عن موضوع بعد آخر.

أتيكوس: ونحن (نوافق) حقًا، ولنذهب إذن إن شئت إلى ضفة النهر عند "ليراس" في الطريق المظلل، لكن (يرجى) البدء الآن بتوضيح رأيك في القانون المدني.

ماركوس: إن في مدينتنا رجالًا كبارًا كانوا معتادين على تفسير القانون للشعب والإجابة على أسئلته، رغم أنهم قدموا علمًا واسعًا، فقد انشغلوا في أمور صغيرة. فماذا يوجد أعظم من قانون الدولة؟ وماذا يوجد أصغر من عمل أولئك الذين يُستفتون فيه؟ ومع أن هذا العمل ضروري للشعب، إلا أنني لا أظن أن الذين اضطلعوا به كانوا خبراء بكل جوانب القانون، بل مارسوا فقط هذا الجانب الذي يُسمي "القانون المدني"، وذلك بقدر ما أرادوا أن يقدموا خدماتهم للشعب وهو من حيث المعرفة النظرية محدود لكنه مهم من حيث التطبيق العملي.

إلى ماذا تدعونني إذن أو على ماذا تشجعني؟ أن أكتب كتيبات عن حقوق تصريف مياه الأمطار من الأسطح، وعن ملكية الجدران المشتركة؟ أم أن أضع صيغ العقود والدعاوي القضائية؟ وهذه قد صاغها غيري من قبل بعناية، وهي أهون شأنًا مما أظن أن الناس يتوقعونه مني.

١٥.(٥) **أتيكوس:** إذا كنت تسأل عما أنتظره أنا، فبما أنك كتبت عن أفضل نظام للدولة المثالية[١]، فمن الطبيعي أن تكتب أيضًا عن القوانين، فأنا أراك تفعل كما فعل أفلاطون الذي تعجب به (محبوبك)[٢]، وتبجله على الآخرين، وتحبه أكثر من الآخرين.

---

١. عن الجمهورية.

ماركوس: أتريد إذن أن تفعل كما فعل أفلاطون حين كان مع "كلينيوس" و"ميجيلوس الأسبرطي"، في يوم صيفي يسير في جزيرة "كريت" بين أشجار السرو في "كنوسوس" يتوقف حينًا ويمشي حينًا، ويتباحثان في أنظمة الحكم وأفضل القوانين؛ فما رأيك أن نفعل الشيء نفسه فنتمشي بين هذه الأشجار الباسقة على ضفة النهر الخضراء المظلله، ثم نجلس ونتناول هذه الموضوعات نفسها ولكن بشيء من التفصيل أوسع مما يتطلبه العمل في ساحات القضاء؟

١٦. **أتيكوس:** حقًا أرغب في سماع ذلك.

ماركوس: وماذا يقول كوينتوس؟

كوينتوس: لا يوجد موضوع آخر أعظم من هذا.

ماركوس: أحسنت القول لأن الأمر كذلك، فاعلموا أنه لا يوجد مجال من مجالات البحث يمكن أن يكشف بوضوح أكبر عما منحته الطبيعة للإنسان، وما تحتويه النفس البشرية من طاقة نحو أعظم الخيرات، وما الغاية التي من أجلها وُلدنا (خُلقنا) وجئنا إلى الحياة، وما هي الصلة بين الناس وما الرابطة الطبيعية التي تجمعهم معًا، فإذا بينت هذه الأمور أمكن عندئذ العثور على منشأ القانون والعدالة.

١٧. **أتيكوس:** إذن فأنت تعتقد أن علم القانون لا ينبغي أن يُستقي من مرسوم البرايتور (الحاكم القضائي) كما يفعل معظم الناس اليوم، ولا من الألواح الاثنى عشر كما كان يفعل القدماء، بل يجب أن يُستمد من أعماق الفلسفة ذاتها؟

ماركوس: إننا لا نبحث في هذه المحاورة يا "بومبونيوس" عما يجب أن نراعية في القوانين ولا عما يجب أن نُجيب به في كل استشارة قانونية، فذلك أمر عظيم، كما هو حقًا وقد تولاه فيما مضي الكثير من الرجال المعروفين، أما اليوم فيتولاها رجل واحد وهو ذو شأن وعلم رفيع للغاية[١]، غير أنه ينبغي لنا في هذه المحاورة أن نتناول مجمل القضية الخاصة بالقانون كله وجميع التشريعات، بحيث نحصر ما نُسميه بالقانون المدني في موضع ضيق صغير ومحدود.

---

[٢] . للاطلاع على علاقة أطروحات شيشرون بجمهورية أفلاطون وقوانينها، انظر مقدمته عن الجمهورية، ص ٦-٧؛ مقدمة عن القوانين، الصفحات ٢٩١-٢٩٢.

[١]. يقصد شيشرون "سيرفيوس سولبيكيوس روفوس" Servius Sulpicius Rufus (١٠٥ ق.م- ٤٣ ق.م)، وهو أحد أصدقائه ومنافسيه على الصعيد المهني، وقد تولى القنصلية عام ٥١ ق. م، وقد ذكر شيشرون أن له العديد من الخطب القضائية (Cic. Bru. 152).

إذ ينبغي علينا أن نشرح طبيعة القانون ذاتها، وأن نُرجعها إلى طبيعة الإنسان نفسها، وأن نناقش القوانين التي يجب أن تُحكم بها الدول، ثم بعد ذلك نتناول ما وُضع وصيغ من التشريعات وأوامر الشعوب، والتي لن تُستثني منها حتي قوانين شعبنا نحن، والتي تُدعي"القوانين المدنية".[١]

١٨.(٦) **كوينتوس:** حقًا إنك قد بدأت يا أخي، من عمق المسألة، وكما ينبغي من أصلها فيما نبحث عنه، لأن الذين يدرَسون القانون المدني بطريقة مختلفة لا يعلمون طرق العدالة بقدر ما يعلمون طرق الخصومة والمنازعة.

ماركوس: ليس الأمر كذلك يا "كوينتوس"، لأن الجهل بالقانون هو الذي يُثير الخصومات، لا العلم به، ولكن نترك الحديث في هذا إلى وقت لاحق، ولننظر الآن في مبادئ العدالة (القانون).

فالرجال الأكثر تعلمًا قد قرروا أن يبدأو الحديث عن "القانون"، ولا أدري إن كان ذلك صوابًا أم لا، إذا صحّ ما يعرفونه به، وهو أن القانون هو أسمى عقل كامن في (الراسخ في) الطبيعة، يأمر بما يجب فعله، ويمنع ما هو مخالف له. وهذا العقل نفسه، عندما يترسّخ ويكتمل في ذهن الإنسان، يُسمّى قانونًا.

١٩. وهكذا يرون أن القانون هو الحكمة (prudentia) ، وتتمثل قوته في أن يأمر بالفعل الصحيح وينهى عن ارتكاب الجريمة؛ ويعتقدون أن هذه التسمية اشتقت من اللغة اليونانية (νόμος) من مبدأ "إعطاء كل ذي حق حقه".[٢] أما أنا فأراها مشتقة في لغتنا (اللاتينية) من فعل يقرأ (legere). فإذا كان (اليونانين) يجعلون جوهر القانون في العدالة، فنحن نجعل قوته في الاختيار والانتقاء،

---

١. كلمة "ius " في اللاتينية لا تعني فقط "القانون" بالمعني الضيق بل تشمل مفهوم العدالة والحق أيضًا، وتُستخدم للدلالة على النظام القانوني العام أو الحق الطبيعي.

مصطلح "Ius Civile " يُقصد به " القانون المدني" والمعني الحرفي " قانون المواطنين"، وهو القانون الذي ينظم العلاقات بين الرومان وبعضهم البعض ويختلف عن " قانون الأمم" الأوسع في الاستخدام ويطبق على التعامل مع الأجانب.

كلمة " Leges " تشير إلى القوانين المكتوبة المقررة لتنظيم شؤون الدولة.

"Iussa populi" بمعني " أوامر الشعب" وتعني القرارات أو الأوامر الصادرة عن الشعب أو المجالس الشعبية.

"Natura iuris" يقصد بها الأساس الطبيعي للقانون، أي القوانين التي تنشأ من طبيعة الإنسان والعقل، لا من التشريع الوضعي .

٢. Νομος مشتقة من قبل شيشرون من νεμω ، " وكذلك " lex من lego ، "للاختيار".

وكلا الأمرين ينتميان إلى القانون. فإذا كان هذا القول صحيحًا، كما يبدو لي في الغالب، فإن بداية القانون لا بد أن تُستمد من القانون الأسمى (المقصود به هنا القانون الإلهى غير القانون الوضعى)، فهو قوة الطبيعة، وهو عقل الحكيم ومنطقه، وهو المعيار الفاصل بين الحق والباطل. ولكن بما أن خطابنا يدور في إطار التفكير الشعبي العام، فسيكون من اللازم أحيانًا أن نتحدث على نحو مألوف عند العامة، فنسمّي قانونًا ما كان مكتوبًا يقرر ما يشاء إما بالأمر وإما بالنهي، كما اعتاد الجمهور أن يسمّيه غير أن تأسيس النظام القانوني حقًا ينبغي أن نأخذه من ذلك القانون الأسمى، الذي هو مشترك بين جميع الأزمنة، وقد وُجد قبل أن يُكتب أي قانون، بل قبل أن تُنشأ أي دولة.

٢٠. **كوينتوس:** حقًا فذلك أكثر انسجامًا مع روح المحاورة، وأكثر حكمة.

ماركوس: حسنًا، أتريد إذن أن نعيد أصل العدالة نفسها من أصل المنبع؟ فإذا عرفنا ذلك فلن يكون هناك شك في الموضع الذي ينبغي أن تُرد إليه المسائل التي نبحث عنها.

كوينتوس: أعتقد أن هذا حقًا ما يجب فعله.

أتيكوس: وأنا أيضًا أوافق رأي أخي.

ماركوس: على هذا يجب أن نحافظ على دستور الجمهورية (الدولة)، الذي أوضحه سكيبيو في كتبه الستة[١]، ويجب أن نتمسك به ونحافظ عليه، وتُكيف جميع القوانين لتلائم ذلك النوع مع الدولة، وأن تُغرس العادات (الأخلاق الحميدة) أيضًا لأنه لا يتم وصف كل شيء كتابة (في القوانين المكتوبة)، فإنني سأعيد أصل العدالة (القانون) إلى الطبيعة، التي يجب أن تقودنا في هذه المناقشة كلها، فهي الدليل الذي ينبغي أن يوضح موضوعنا.

أتيكوس: أصبت كبد الحقيقة، فبهذه الطبيعة لا يمكن أن يضل أحد على الإطلاق.

٢١. (٧) **ماركوس:** أتؤكد لنا إذن يا "بومبونيوس" (فإنني أعرف رأي كوينتوس) بأن الطبيعة بأسرها تُدار وتُحكم بإرادة الآلهة الخالدة وبعقلها وقوتها وفكرها وسلطانها (أو بأي لفظ آخر أوضح أستطيع أن أعبر به عما أريد)؟ لأنه إن أقررت بهذا فمن هناك يجب أن نبدأ مناقشتنا قبل كل شيء.

أتيكوس: نعم بكل تأكيد أوافقك على ذلك ما دمت تطلبه، فمع تغريد الطيور وضجيج الأنهار،

---

١. عن الجمهورية.

لا أخشي أن يسمعنا أحد من زملائنا.[١]

ماركوس: ولكن يجب أن نكون حذرين ، فهؤلاء (وكما هو عادة الرجال الصالحين) يغضبون بشدة ولن يحتملوا إن سمعوا أنك أفشيت أول ما في فكر رجل عظيم الذي كتب فيه.[٢]

"أن الآلهة لا تهتم بأمرها ولا بأمر الآخرين (أى البشر)."

٢٢. **أتيكوس:** أكمل أرجوك، لأننى مشتاقُ أن أعرف الغاية من الأمر الذى وافقتك عليه.

ماركوس: لن أطيل فالمقصود هو: أن هذا الكائن الذي نسمّيه الإنسان: العاقل، الذكي، المتعدد القدرات، الحاد الفهم، القوي الذاكرة، المملوء عقلًا وتفكيرًا وتدبيرًا ـ قد منحه الإله الأعلى منزلة رفيعة. فهو وحده من بين جميع الكائنات الحية، يشترك في العقل والتفكير، بينما تفتقر بقية الكائنات إلى ذلك تمامًا. وأي شيء لا في الإنسان وحده بل في السماء والأرض كلّها، أسمى وأقدس من العقل؟ وعندما يكتمل العقل ويبلغ تمامه، يُسمّى حينها بحق "الحكمة" .

٢٣. وبما أنه ليس هناك ما هو أسمى من العقل، وهو موجود في الإنسان كما هو في الإله، فإن أول صلة للإنسان بالإله هي صلة العقل. وكل من يشتركون في العقل، يشتركون أيضًا في العقل المستقيم؛ ولما كان العقل المستقيم هو القانون، وجب أن نعدّ البشر متحدين مع الآلهة بالقانون. وحيثما وُجد الاشتراك في القانون، وُجد أيضًا الاشتراك في الحق، ومن يملكون هذه الأمور المشتركة فيما بينهم، لا بد أن يُحسبوا مواطنين في دولة واحدة.

ثم إن كانوا جميعًا خاضعين للسلطات نفسها وللقوة نفسها، فكيف لا يخضعون أعظم خضوع لهذا النظام السماوي، ولهذا العقل الإلهي، ولهذا الإله القدير؟ ومن ثم يجب أن يُنظر إلى العالم بأسره على أنه مدينة واحدة مشتركة بين الآلهة والبشر.

---

١ . كان أتيكوس أبيقوري المذهب أى من أتباع إبيقوروس.

2. Epicurus., cf. Diogenes Lucretius, X. 139.

.τό μακάριον και άφθαρτον ούτ 'αυτό πράγματ' έχει ούτ 'άλλω παρέχει

"ما هو سعيد وخالد لا يوجد لديه مشاكل خاصة به، ولا يسبب مشكلة لآخر."

قارن (Lucretius II.646-648., Horace. Sat I.5.101.)

وكما أن الدول تتميز داخليًا بأنساب العائلات ومراتبها وفقا للنظام الذي سوف أتناوله عن طبيعة الأشياء[1] وأيضًا ينطبق الشيء نفسه في الكون، لكن بطريقة أسمى وأروع، يرتبط البشر بالآلهة برابطة النسب والقرابة.

٢٤. (٨) عندما نبحث في طبيعة الإنسان يُقال عادة (وفي كل الاحتمالات تكون صحيحة) إن حركات السماء الدائمة ودوراتها قد أوجدت وقتًا مناسبًا لظهور الجنس البشري، الذي انتشر في الأرض، ونما بنعمةٍ إلهية من الأرواح، وبينما أخذ البشر من طبيعتهم الفانية أشياء أخرى يتصلون بها وهي أشياء هشة وزائلة، إلا أن الروح نفسها قد غُرست فيهم من الإله، ومن هنا نستطيع بحق أن نقول إن لنا صلة قرابة وأصلًا مشتركًا مع الكائنات السماوية. ولهذا السبب، لا يوجد بين جميع الكائنات الحية غير الإنسان من لديه معرفة بوجود إله، بل وحتى بين البشر لا توجد أمة لا متحضرة ولا متوحشة، إلا وتعرف – حتى إن جهلت كيف ينبغي أن يكون الإله – أنه لا بد أن يكون هناك إله.

٢٥. ومن هنا نفهم أن الإنسان يعرف الإله، لأنه يتذكر أصله الذي جاء منه، ثم إن الفضيلة في حقيقتها واحدة عند الإنسان والإله، ولا توجد في أي مخلوق آخر، والفضيلة هي الطبيعة وقد بلغت كمالها وتمامها؛ لذلك يوجد تشابه بين الإنسان والإله، وإذا كان هذا صحيحًا فأي صلة قرابة يمكن أن تكون أقوى وأوضح من هذه؟ السبب فى هذا هو أن الطبيعة منحتنا كل هذه الخيرات لخدمة الإنسان وحاجاته، حتى يبدو أن ما ينتج في العالم لم يأتِ بالصدفة، بل وُجد بقصد أن يُعطى لنا ولا يقتصر ذلك على ما تخرجه الأرض من ثمار ومحاصيل، بل يشمل أيضًا الحيوانات، إذ إن كثيرًا منها خُلق ليستفيد منه الإنسان، بعضها للمنفعة والعمل، وبعضها للطعام.

٢٦. حقًا لقد وُجدت فنون كثيرة لا تُحصي بتعليم من الطبيعة، ثم جاء العقل فقلدها وطورها بمهارة ليحقق ما هو ضروري للحياة.

(٩) أما الإنسان نفسه فقد زينته الطبيعة ذاتها لا بفطنة العقل فحسب بل منحته أيضًا الحواس كأنها حراس ورسل، وفسّرت له إدراكات غامضة وغير كافية الوضوح عن أشياء كثيرة لتكون أسس أولية للمعرفة. ثم وهبته هيئة جسدية صالحة وملائمة للإدراك (للعقل) الإنساني، فبينما طرحت

[1] . المناقشة المشار إليها مفقودة. انظر المقدمة (مقدمة كتاب القوانين)، الصفحات ٢٩٠-٢٩١.

سائر الحيوان منحنية إلى العلف، أقامت الإنسان وحده معتدل القامة، ورفعته إلى تأمل السماء كأنها مسكن قرابته وأصله القديم. ثم صوّرت ملامح وجهه بحيث تعكس ما أُخفي في أعماقه من الأخلاق والطباع.

٢٧. إن العيون تعبّر بجلاء عن حال النفس وما يعتريها، وأما الوجه وهو ما يختصّ به الإنسان وحده دون سائر الكائنات فإنه يكشف عن الأخلاق والطباع[١]. وقد أدرك اليونانيون قوّته لكنهم لم يضعوا له اسمًا مخصوصًا. وأترك الآن ما للجسد من خصال أخرى، كمرونته ومهارته، وضبط الصوت، وقوة الكلام التي هي أعظم وسيلة لتحقيق الترابط بين الناس، فليس كل ذلك موضوع حديثنا، وقد عرض "سكيبيو" هذا الجانب بما يكفي في الكتب التي قرأتموها[٢]. أما الآن، فبما أنّ الإله قد خلق الإنسان ليكون أصلًا وسيدًا لسائر المخلوقات، وهيّأه وزيّنه لهذه الغاية، فإن الأمر واضح: الطبيعة نفسها قادرة أن تتقدّم بذاتها (لخطوة) أبعد، وبدون معلّم، تنطلق من إدراكات أولية بسيطة وغير مكتملة، ثم ترسّخ العقل وتكمّله من ذاتها.

٢٨. (١٠) **أتيكوس:** أيتها الآلهة الخالدة! إلى أي مدى تعودى لتصدرى أحكام أصول (القانون) العدالة! إنك تفعل ذلك بطريقة (تتحدث ببلاغة) تجعلني لا أكتفي بألا أستعجلك فيما كنت أتوقعه منك عن القانون المدني، بل أقبل بكل رضا أن تقضي هذا اليوم كلّه في هذا الحديث. فهذه الأمور التي تتناولها أعظم شأنًا – وربما تناولتها من أجل غيرك – من تلك الأمور نفسها التي أُعدّت هذه لأجلها.

ماركوس: نعم إن ما نناقشه الآن عظيم الشأن وإن كان يُناقش بإيجاز، لكنه من بين كل ما يُناقش بين أهل العلم لا يوجد شيء أرفع شأنًا من أن يتضح جليًا أننا قد خُلقنا من أجل العدالة، وأن القانون لم يُنشا بالرأي أو بالاتفاق، بل هو ثابت بالطبيعة وسيظهر ذلك واضحًا إذا تأملت رابطة البشر بعضهم ببعض واتحادهم فيما بينهم .

٢٩. لأنه لا يوجد شيء يشبه شيئًا آخر كما يشبه الناس بعضهم بعضًا. ولولا أن فساد العادات واختلاف الآراء يضغطان على النفوس ويجبرانها على الانحراف حيث يشاءان، لكان كل إنسان أشبه بجميع الناس من شبهه بنفسه، ولذلك فإن أي تعريف للإنسان يصلح للجميع بلا استثناء.

---

[١] . يبدو أن شيشرون يشير إلى تعبير الوجه على حد سواء كمرآة للعاطفة اللحظية وإلى الطلعة (المحيا) كمؤشر للشخصية.

[٢] . عن الجمهورية.

٣٠. وهذا دليل كافٍ على أنه لا يوجد اختلاف حقيقي في الجنس البشري، فلو كان هناك اختلاف لما شملهم تعريف واحد وهو "العقل" الذي نتميز به عن الحيوانات والذي بواسطته نستطيع أن نخمن ونستدل ونناقش ونثبت أو ننقض الحجج، فهو مُشترك بين جميع البشر بلا استثناء، وإن اختلفوا في مقدار المعرفة، فإنهم متساوون في القدرة الفطرية على التعلم؛ إذ إن الحواس تُدرك الأشياء ذاتها عند الجميع، وما يُثير الحواس يُثيرها بالطريقة نفسها عند الكلّ، وما يُطبع في النفوس من بدايات الإدراك العقلي – كما ذكرتُ سابقًا – ينطبع بالطريقة ذاتها عند الجميع، أما الكلام، وهو أداة العقل، فإنه يختلف بالألفاظ بين الشعوب، لكنه يتفق في المعاني والأفكار، وليس هناك أحد من أي أمّة، إذا ما نال هدايا الطبيعة، إلا وهو قادر على أن يبلغ الفضيلة.

٣١. (١١) إن التشابة بين أفراد الجنس البشري لا يظهر في الأمور المستقيمة فقط، ولكنهم متشابهين أيضًا في الأخطاء والانحرافات، فالجميع ينجذب إلى اللذة (المتعة)، التي رغم أنها تقود إلى الرذيلة، إلا أن بها شيئًا يُشبه الخير الطبيعي في بعض النواحي، إذ إنها تسر النفوس بما فيها من رقة وعذوبة، فيظن العقل المخطئ أنها شئ نافع، وبالجهل نفسه يتجنب الناس الموت لأنه يُري كأنه فناء للطبيعة، ويطلبون الحياة لأن بها ما ولدنا فيه، أما الألم فهو أعظم الشرور، ليس فقط لقسوته، بل أيضًا لأنه يبدو وكأنه يقود إلى فناء الطبيعة وهلاكها.

٣٢. وبسبب ارتباط السعادة بالشرف والمجد، فإن أولئك الذين نالوا التكريمات يُعدون سعداء، بينما الذين هم بلا مجد (يُعدون) تعساء، فالمتاعب والمباهج، والرغبات والمخاوف، تجتاح عقول جميع الناس على نحو متشابه، حتى وإن اختلفت المعتقدات بين الشعوب، فالذين يعبدون الكلاب أو القطط كآلهة لا يختلفون عن غيرهم من الأمم التي تقع تحت سلطان الخرافات.

وأي أمة لا تحب المجاملة، وتستحسن الكرم، وتقدر رد الجميل؟ وأي أمة لا تكره المتكبرين، والأشرار، والقساة، وناكري المعروف؟

ومن هذا يتبين أن البشر جميعًا مترابطون ومتشابهون، ويبقي الأمر الأهم: وهو أن العيش وفق المنهج القويم هو ما يجعل الإنسان أفضل.

فإذا اتفقتم على ذلك، ننتقل إلى ما بعده، وإن كان هناك ما يحتاج إلى شرح، فلنوضحه أولًا.

أتيكوس: حقًا ليس لدي (أسئلة)، إذا جاز لي أن أرد.

٣٣.(١٢) **ماركوس:** إذن يترتب على ذلك أن الطبيعة جعلتنا مهيئين للتعاون والتواصل مع بعضنا البعض، وعندما أذكر الطبيعة فإنني أعني ما هو أصيل في تكويننا، لكن العادات السيئة قد تُفسد هذا الأصل، حتي تطفئ ما زرعته الطبيعة فينا من بذور الخير، وتغرس بدلًا منها عادات ورذائل مضادة.

ولو أن الناس استخدموا عقولهم استخدامًا سليمًا، كما خُلقوا في الأصل، ورأوا – كما قال الشاعر " لا يوجد شيء بشرى غريب عنهم"[١]، لكان العدل مطبقًا عند الجميع بالتساوي. فالطبيعة التي أعطت الإنسان العقل، أعطته معه العقل المستقيم، وبالتالي أعطته القانون، لأن القانون هو العقل السليم الذي يأمر وينهى، وحيثما يوجد القانون يوجد الحق، وبما أن العقل مشترك بين جميع البشر، فإن الحق أيضًا مشترك بينهم.

ولذلك كان سقراط يصب لعنته بحق على أول من فصل بين المنفعة والعدالة (الحق)، إذ كان يري أن ذلك هو أصل كل الشرور والمهالك[٢]. ومن ذلك أيضًا جاءت الكلمة المنسوبة إلى فيثاغورس عن الصداقة؟ [٣] أن يصبح الإنسان الواحد مكونًا من كثيرين.

٣٤. ومن هذا يتضح أنه عندما يوجّه الحكيم هذه المودّة الواسعة بين البشر نحو شخص يشاركه نفس الفضيلة، يحدث حينها أمر قد يبدو لبعض الناس غير معقول، لكنه في الحقيقة ضروري: وهو أن يحب صديقه بقدر ما يحب نفسه، لا أكثر ولا أقل؛

إذن ما الفرق بينهما ما دام كل شيء متساويًا؟ فإذا وُجد أدنى تفاوت بينهما، فلن يبقى لاسم الصداقة وجود، لأن حقيقتها تقوم على أنه متى أراد أحدهما لنفسه شيئًا أفضل من الآخر، زالت الصداقة تمامًا.

---

١. cf. Terence . Heaut. Timor. 77.

٢ . يخبرنا كليمنت السكندري (Clement of Alexandria) فى (Stromata II, 21, 3) أن هذا التصريح عن سقراط والذى أدلى به كلينثيس (Cleanthes) الرئيس الثاني للمدرسة الرواقية (حوالي ٢٥٠ ق. م).

٣ . إذا كان الاقتباس من فيثاغورس قد أعطى بواسطة شيشرون أم لا، فلا يمكننا أن نقول، ولا يمكننا أن نتأكد من الإشارة إلى "الكلمات الشهيرة". إن الأقوال المعروفة ، Κοινά τα των φιλων ، "ممتلكات الأصدقاء مملوكة بشكل عام" ، وأن τον φιλον αλλον εαυτον ، "الصديق هو الذات الثانية"، تُنسب إليه، بالإضافة إلى العديد من الأمثال على الموضوع. (See Porphyrius, De Vita Pythag. 33)

كل ما قلته حتى الآن هو بمثابة تمهيد لبقية حديثنا ونقاشنا، حتى يسهل أن نفهم أن القانون موجود في أصل الطبيعة نفسها. وبعد أن أقول في هذا الموضوع كلمات قليلة، سأنتقل بعد ذلك إلى القانون المدني، الذي وُلد منه أصل هذا الحديث كله.

٣٥. (١٣) **كوينتوس:** حقًا قل هذه الكلمات القليلة. فمن خلال ما أوضحته حتى الآن ، حتى لو بدا الأمر مختلفًا عند أتيكوس، أرى أنا بوضوح أن العدالة في حقيقتها نابعة من الطبيعة.

أتيكوس: هل يمكن أن يبدو لي الأمر بخلاف ذلك بعد اكتمال هذه الأمور بالفعل وهى:

أولًا : أننا قد وُهبنا وزينا بعطايا الآلهة،

وثانيًا: أن للبشر فيما بينهم طريقة واحدة متساوية ومشتركة للعيش، ثم إنهم جميعًا مرتبطون بعاطفة طبيعية من الحنان والمودة، وأيضًا برابطة العدالة؟ وحين نعترف كما أظن بأن هذه الأمور صحيحة فكيف يجوز لنا أن نفصل القوانين والعدالة عن الطبيعة؟

٣٦. **ماركوس:** أصبت في قولك، وهكذا هو الأمر فعلًا. لكن على طريقة الفلاسفة. لا القدماء منهم، بل أولئك الذين أقاموا كأنها مصدرًا للحكمة، فإن ما كان يُناقش قديمًا على نحو واسع وحرّ، صار اليوم يُعرض مقسمًا ومفصلًا (بشكل منهجي) [١]. وهم لا يرون أن الغرض من هذا الموضع الذي نتناوله الآن يكتمل، ما لم يبحثوا على نحو منفصل في هذه المسألة بالذات وهى أن العدالة مصدرها الطبيعة.

أتيكوس: وطبعًا قد فقدت حرية النقاش، أو لعلك من أولئك الذين إذا خاضوا في الجدل لا يتبعون حكم عقولهم، بل يخضعون لسلطة الآخرين!

٣٧. **ماركوس:** ليس دائمًا يا " تيتوس"، لكنك ترى ما هو مسار حديثنا. إن كل خطابنا يتجه نحو تدعيم الجمهورية والمدن، وتثبيت الأخلاق، ومعالجة أحوال الشعوب، ولذلك فإني أخشى أن أُقدم على وضع مبادئ غير مدروسة بعناية ولم تُفحص بدقة، ومع ذلك لا أرجو أن تنال رضا الجميع (لأن ذلك لا يمكن أن يحدث)، بل (أرجو) أن تنال قبول أولئك الذين اعتبروا أن كل ما هو مستقيم وشريف ينبغي أن يُطلب لذاته، وأنه إمّا لا ينبغي أن يُعدّ شيئًا في الخيرات إلا ما كان جديرًا

[١] . كان الرواقيون بالتحديد هم الذين أكدوا على التقسيم الدقيق للمشاكل الفلسفية والمناقشة المنهجية لكل نقطة على حدة.

بالمدح في ذاته، أو على الأقل ألّا يُعتبر الشيء خيرًا عظيمًا إلا ما يمكن حقًا أن يُمدح من تلقاء نفسه.

٣٨. ولتكن هذه الأمور التي ذكرتها مقبولة عند جميع هؤلاء سواء عند من أبقوا في الأكاديمية القديمة مع "سبيوسبس" و"زينوكراتيس" و"بوليمون"، أو عند من اتبعوا "أرسطو" و" ثيوفراسطوس"، متفقين معهم في جوهر الفكرة لكن مختلفين قليلًا في أسلوب التعليم، أو عند من (اتبعوا) رأى "زينون"، لم يغيروا الحقائق بل بدلوا الألفاظ، أو حتى عند من ساروا على مذهب "أريستون"[١] الصعب والشديد، لكنه قد انفصل واضمحل (انتهى وفُنّد)، إذ جعل سائر الأمور مع استثناء الفضائل والرذائل في مرتبة مساوية [٢]، فليكن كل ما قلت مرضيًا عند هؤلاء جميعًا[٣].

٣٩. إن الذين يدور همُّهم حول إرضاء شهواتهم فإنهم عبيد لأجسادهم، ويجعلون ميزان حياتهم في طلب اللذات وتجنب الآلام، فحتى لو قالوا كلامًا صحيحًا (وليس هنا مجال للجدال معهم) فلنترك لهم الكلام في حدائقهم الخاصة [٤]، ولنطلب منهم أن يبتعدوا قليلًا عن شؤون الجمهورية، التي لم يعرفوا منها شيئًا قط، ولا أرادوا يومًا أن يعرفوا.

وأما الأكاديمية المضطربة في هذه الأمور كلها، أعني تلك الحديثة التي أسسها "أركسيلاوس" و"كارنياديس"[٥] فلنستعطفها أن تصمت؛ لأنها إذا تدخلت في هذه المسائل، التي نراها نحن قد

---

١ . المقصود بـ مذهب أريستون (Ariston) هو تعاليم الفيلسوف اليوناني أريستون الكيوسي (Ariston of Chios)، عاش في القرن الثالث قبل الميلاد)، وهو من تلاميذ زينون (مؤسس الرواقية)، لكنه خالف أستاذه في نقاط أساسية. لإنه كان رواقي غير تقليدي. ولم يؤسس مدرسة كبيرة أو مشهورة مثل الرواقية أو الإبيقورية، لكن أفكاره أثّرت على بعض الجدل الفلسفي في عصره.
Hammond.N.G.L., Scullard.H.H., (1979), The Oxford Classical Dictionary, Second Edition. Oxford. s.v. Ariston

٢ . كان سبوسيبوس(Speusippus) الذى عاش ما بين (٤٠٧– ٣٣٩ ق.م.) تقريبًا. وإكسينوكراتيس (Xenocrates) (٣٣٩-٣١٤ ق.م.)، وسبوسيبوس، وإكسينوكراتيس وبوليمون خلفاء أفلاطون في قيادة الأكاديمية. وكان أرسطو وثيوفراستوس المؤسس والرئيس الثاني لمدرسة المشائين على التوالي. وكان زينون مؤسس المدرسة الرواقية. .... راجع:
OCD. (1979), s.v. Speusippus., Xenocrates

٣ . المقصود الإبيقوريون.

٤ . المقصود هنا (بحدائقهم الخاصة) إجتماع تلاميذ إبيقوروس في حديقته بأثينا.

٥ . كان كلًا من أركسيلاوس وكارنياديس مؤسسي "الأكاديمية الجديدة"، حيث أدخلوا التشكك في التعاليم الأكاديمية. وبالنسبة لهذا التشكك هو الذى يشير إليه شيشرون هنا.

رتّبت وهيئت كما ينبغي، فإنها ستُحدث خرابًا شديدًا. وأنا في الحقيقة أرغب في تهدئتها، لكن لا أجرؤ على إقصائها (عن المناقشة).

٤٠. (١٤) لقد أجرينا نحن التكفير عن الذنب بدون قصد [١]، أما الجرائم التي تُرتكب بحق الناس، أو تدنيس مقدسات (الإلحاد) في حق الآلهة فلا كفارة لها، ولهذا السبب ينال المذنبون عقابهم، بأحكام المحاكم (التي قديمًا لم تكن موجودة من قبل واليوم غالبًا لا تعمل، وحتي حيث وُجدت فهي في الغالب ظالمة)، بل تُعذبهم أرواح الانتقام، لا بمشاعل محترقة كما في المآسي التراجيدية[٢]، وإنما بعذاب الضمير والإحساس بالندم عما ارتكبوه.

وإذا كان الناس يمتنعون عن الظلم فقط خوفًا من العقوبة، لا بدافع طبيعتهم، فبأي همٍّ أو قلق سيتعذب الأشرار إذا زال خطر العقاب؟ ومع ذلك، لم يكن أحدٌ من المجرمين جريئًا إلى حدٍّ أن يعترف تمامًا بجريمته، بل إما أن ينكر أنه ارتكبها، أو يجد لنفسه عذرًا ما ليبرر فعلته، أو يبحث عن تبرير لجريمته من بعض قوانين الطبيعة، لكن إذا كان الأشرار يجرؤون على أن يسمّوا الشر خيرًا، فكيف سيجدون تقديرًا عند الأخيار؟ وهكذا، إن كان الذي يردع الناس عن حياة الظلم والجريمة هو الخوف من العقوبة لا لقبح الفعل في ذاته، فلن يكون هناك في الحقيقة أناس ظالمون، بل مجرد طائشين يفتقرون إلى الحكمة.

٤١. وأما أولئك الذين لا يحرّكهم شرف الفضيلة في ذاتها ليكونوا رجالًا صالحين، بل تُحركهم منفعة ما أو فائدة يُريدونها، فهؤلاء ماكرون لا أخيار فضلاء، فماذا يفعل ذلك الإنسان في الظلام (غياهب السجن) إذا كان لا يخشى شيئًا إلا الشاهد والقاضي؟

وماذا لو صادف في مكان ما مقفر(البرّية) رجلًا ضعيفًا منفردًا (لا حول له ولا قوة له)، في مكان يستطيع أن يسلبه مالًا (ذهبًا) كثيرًا؟

إن الرجل الفاضل العادل بطبيعته سيحادثه، ويساعده، ويرشده في الطريق، وأما ذاك الذي لا يصنع شيئًا إلا لمنفعته الخاصة، ويقيس كل الأمور بمصالحه وحدها، فأعتقد، أنكم تدركون ما

---

[١] . يستحيل تحديد من الذي يُشار إليه إن وجد (انظر الملاحظة النقدية). بعد الانقطاع في التسلسل ، يبدو أن شيشرون يختتم بعض الملاحظات حول كفارة المخالفات البسيطة. يمضي على الفور إلى ذكر استحالة التكفير عن الأخطاء الجسيمة بحق.

[٢] . أيسخولوس، إلهات الرحمة على سبيل المثال، حيث فوريس يتتبّع أوريستيس. ويمكن الإشارة إلى المشاعل انظر:
Aeschylus, Eumenides. 1005-1021.

الذي سيفعله! فإن هو أنكر أنه سيقتل الرجل أو يسلبه ماله، فلن يكون إنكاره أبدًا لأنه يرى ذلك قبيحًا بطبيعة الأمر، بل لأنه يخشى أن يُفتضح أمره، أي أن يناله شرّ من وراء ذلك. يا لها من حالة جديرة بالخجل، يخجل منها لا المثقفين وحدهم، بل حتي الريفين البسطاء!

٤٢.(١٥) حقًا إن الرأي القائل بأن كل ما سُنَّ من قوانين أو وُضع في أنظمة الشعوب يُعَدّ عادلًا، فهو غاية في السذاجة، فهل تُعَدّ قوانين الطغاة عادلة؟

ولو أن الطغاة الثلاثين[١] في أثينا أرادوا فرض قوانينهم، أو حتى لو رضي جميع الأثينيين بقوانين الطغاة، فهل تصبح تلك القوانين عادلة لمجرّد ذلك؟

أعتقد لا، وبالمثل لا تكون عادلة تلك القاعدة التي سنَّها أحد الحكّام عندنا[٢]، بأن للدكتاتور الحق في قتل أي مواطن يختاره من غير محاكمة ولا سبب بلا عقوبة.

فالعدل واحد، وهو القانون (الطبيعي) الذي يكون ملزمًا لكل المجتمع البشري، والذي يقوم على "العقل المستقيم" في الأمر والنهي، ومن يجهل هذا القانون، فهو ظالم سواء كان مكتوبًا في مكان ما أو لم يكن مكتوبًا أصلًا.

فإذا اعتُبرت العدالة مجرد طاعة القوانين المكتوبة وأنظمة الشعوب، وإذا كان كما يقولون كل شيء يُقاس بالمصلحة (بالمنفعة)، فإن من يظن أن مصلحته في خرق القانون سيتجاوزه متى استطاع ذلك. وهكذا، إذا لم يكن هناك عدل قائم على الطبيعة، فإن كل عدل يُبنى فقط على المصلحة سينهدم بمصلحة أخرى، وبذلك لا يبقى عدل على الإطلاق.

٤٣. ولكن إذا لم تكن الطبيعة هي التي تثبّت أساس العدالة، فلتُزول إذن جميع الفضائل ، فأين يكون الكرم؟ وأين محبة الوطن؟ وأين البرّ؟ وأين الرغبة في الإحسان إلى الغير ورد الجميل؟ إنما تنشأ هذه كلها من ميلنا الطبيعي إلى محبة البشر، وهو الأساس الذي يقوم عليه الحق والعدل.

والأمر ليس مقصورًا على العلاقات بين الناس، بل حتى الشعائر الدينية والعبادات الموجهة إلى الآلهة تُمحى هي الأخرى، مع أنها لا ينبغي أن تُحفظ بدافع الخوف، بل بالعلاقة الوثيقة القائمة بين الإنسان والإله.

---

١. cf. Cicero., De Re Pub. I. 44.

٢ . هذا يشير بوضوح إلى قانون اقترح بواسطة ل. فاليريوس فلاكوس في عام ٨٢ ق.م . مع الإشارة إلى ديكتاتورية سولا.
انظر: Cicero ., De Lege Agraria III, 4., Act. II in Verrem III, 82.

(١٦) وهكذا إذا كان القانون يُنشأ بأوامر الشعوب، أو بقرارات الحكام، أو بأحكام القضاة، لكان من "العدل" أن يُشرَّع للسرقة، أو للزنا، أو لتزوير الوصايا، لو أن هذه الأمور أقرتها أصوات الناس أو المراسيم الصادرة للعامة (صكوك المجالس).

٤٤. إذا كانت لأحكام الجهّال وقرارتهم سلطة إلى هذا الحدّ، بحيث يمكن بأصواتهم أن تتغير طبيعة الأشياء، فلماذا لا يقرّرون إذن أن تُعد الشرور والمهالك خيرات نافعة؟

أو لماذا ما دامت القوانين قادرة على أن تجعل من الظلم عدلًا، لا تكون قادرة كذلك على أن تجعل من الشر خيرًا؟

فى الواقع نحن لا نستطيع أن نميز بين القانون العادل والقانون الجائر إلا بمقياس واحد، هو مقياس الطبيعة، وليس الحق والجور وحدهما ما يُحكم فيه بالطبيعة، بل كل ما هو شريف أو قبيح أيضًا. فإن الفهم المشترك قد أتاح لنا معرفة تلك الأمور وغرس أصولها في نفوسنا: فما كان في جانب الفضيلة يُعد شريفًا، وما كان في جانب الرذيلة يُعد قبيحًا.

٤٥. وأما أن يُظن أن هذه الأمور قائمة على الرأي لا على الطبيعة فذلك جنون. إذ ليست فضيلة شجرة أو حصان، وإن كنّا نستعمل لفظ (الفضيلة) هنا على سبيل المجاز فهى قائمة على رأي الناس، بل وعلى طبيعتها. وإذا كان الأمر كذلك، وجب أن يُقضى أيضًا بأن ما هو شريف وما هو قبيح يُحدَّد بالطبيعة، فإن كانت الفضيلة رهينةً برأي عام، لكان لا بد أن تُستحسن أيضًا أجزاؤها بذاك الرأي. فمن ذا الذي يحكم على إنسان بالحكمة والفطنة – إن جاز لي القول – لا بناءً على ما فيه من استعداد داخلي، بل على أمر خارجي؟ فالفضيلة هي إدراك كامل لما هو خير، وهذا أمر قائم في الطبيعة يقينًا، ومن ثمّ فكل ما هو شريف يُقاس بالطريقة ذاتها.

(١٧) وكما يُفرق بين الحقيقة والباطل (الصواب والخطأ)، وبين ما يترتب وما يتعارض بذاته لا بعامل خارجي، كذلك الحكم على استقامة الحياة وثباتها – وهي الفضيلة – وعلى اضطرابها وتقلبها – وهو الرذيلة – إنما يكون بطبيعتها؛ فكيف لا نحكم على طبائع الناس بالطريقة ذاتها؟

[أو مثلما يحكم المزارع على جودة الشجرة بطبيعتها]

٤٦. فهل تُحكم طبائع العقول، وكذلك الفضائل والرذائل التي تنشأ عنها، على غير أساس الطبيعة؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك، أليس من الضروري أن يُرد ما هو شريف وما هو قبيح إلى الطبيعة أيضًا؟

فإن كان كل ما هو جدير بالمدح خيرًا في ذاته، فلا بد أن يشتمل الخير نفسه على ما يجعله موضع مدح؛ إذ الخير في ذاته ليس قائمًا بالآراء، بل بالطبيعة. ولو لم يكن الأمر كذلك، لكانت السعادة نفسها شأنًا من شؤون الرأي، وأيّ شيء أحمق من ذلك يمكن أن يُقال؟

ولهذا، ما دام الخير والشر يُحكمان وفق الطبيعة، وكانت هذه هي المبادئ الأساسية للطبيعة، فلا شك أن ما هو شريف وما هو قبيح يجب أن يُحكم به بالطريقة نفسها ويُرد إلى الطبيعة.

٤٧. لكن يُقلقنا اختلاف الآراء واختلاف البشر، ولأن هذا الاختلاف نفسه غير موجود في الحواس، فإننا نعتقد انها يقينية بطبيعتها، ونقول إن الأشياء التي تظهر للبعض بطريقة وللآخرين بطريقة أخرى، والتي لا تكون دائما هي نفسها من جانب واحد فهي خيالية، وبعيده كل البعد عن الحقيقة.

لأن حواسنا لا يُفسدها الوالدان، أو المربية، أو المعلم، أو الشاعر، أو المشهد مسرحي، أو إجماع الجمهور، لكن حقًا تُنصب كل المكائد للعقول (للأرواح)، إما من قِبل أولئك الذين ذكرتهم توًا، أو الذين حين يأخذون (البشر) وهم ما زالوا غُضًّا طريين وجُهالًا، يلوثونهم ويُحرفونهم كما يشاؤون، وإمّا من تلك التي تسكن أعماقنا وتلتصق بجميع حواسنا، أعني اللذة، التي تقلّد الخير وهي في الحقيقة أمّ جميع الشرور، فبسبب غواية هذه اللذة ينحرف الناس، فلا يرون الأمور الخيّرة بطبيعتها على حقيقتها، لأنها خالية من هذه الغواية الخادعة وهذا البريق الكاذب.

٤٨.(١٨) ويترتّب على ذلك حتى تكون هذه خاتمة حديثي كلّه ما يظهر بوضوح مما سبق: أن العدل وكل ما هو شريف يُطلب لذاته. فجميع الرجال الصالحين يحبون العدل والحق في ذاتهما، وليس من صفات الرجل الصالح أن يخطئ فيحب ما لا يُحب لذاته؛ لذلك فالعدل يُطلب ويُرعى لذاته. وإذا كان العدل كذلك، فلا بد أن تكون العدالة نفسها مطلوبة لذاتها، وبالضرورة تكون بقية الفضائل أيضًا جديرة بأن تُطلب لذاتها.

فماذا عن الكرم؟ أهو مجاني أم مأجور؟ إن كان الإنسان كريمًا بلا مقابل، فهو مجاني؛ وإن كان ينتظر أجرًا، فهو مأجور، ولا شك أن من يُسمَّى كريمًا أو محسنًا إنما يتبع الواجب لا المنفعة. وكذلك العدالة، فهي لا تطلب أجرًا ولا ثمنًا، بل تُطلب لذاتها، وهي في الجوهر متفقة مع جميع الفضائل الأخرى في السبب والغرض.

٤٩. بالإضافة إلى ذلك أن الفضيلة إن لم تُطلب لذاتها وليس من أجل المنافع، صارت تُسمي رذيله[١] وهي الشرّ بعينه. فكلما كان الإنسان يردّ أفعاله إلى مصلحته الخاصة، ابتعد عن أن يكون رجلًا صالحًا، وهكذا من يقيس الفضيلة بالثواب أو المنفعة، فإنه في الحقيقة لا يرى في الفضيلة إلا رذيلة.

فأين يكون الإحسان إذا لم يفعل أحد الخير من أجل غيره؟ [٢] وأين الامتنان إذا لم يظهر الإنسان شاكرًا إلا عند ردّ الجميل؟ وأين تلك الصداقة المقدسة، إذا لم يُحبّ الصديق لذاته وبكل القلب كما يُقال؟ فإن كان الأمر قائمًا على المنفعة وحدها، لوجب أن يُهمل الصديق ويُطرَح جانبًا إذا لم يعد يُرجى منه نفع أو فائدة. وهل ثمة شيء أفظع من هذا؟

فإذا كانت الصداقة جديرة بأن تُحفظ لذاتها، فكذلك يجب أن تُطلب لذاتها أيضًا رابطة المجتمع البشري والمساواة والعدل، فإن لم يكن الأمر كذلك، فلن يكون للعدالة وجود على الإطلاق؛ إذ ليس من شيء أشد ظلمًا من أن يُطلب من وراء العدالة أجر أو منفعة.

٥٠.(١٩) ولكن حقًا ماذا نقول عن الحياء، وعن الاعتدال، وعن ضبط النفس[٣]، وعن الخجل والعفة والطهارة؟ أفلا يكون الناس ممتنعين عن الفجور إلا خوفًا من الفضيحة، أو من القوانين والمحاكم؟ أم يكونون أبرياء وأصحاب حياء فقط لكي يحظوا بسمعة طيبة، ولكي يجمعوا ثناء الناس، فيستحيوا من الكلام بما هو فاحش؟

أما أنا فأشعر بالخجل من هؤلاء الفلاسفة الذين يعتقدون أنه من المشرف تجنب الإدانة على جريمة ما بدون أن تتجنب الجريمة نفسها. [٤]

---

١. من الواضح أن malitia (الرذيلة) هنا معناها الحرفي (= κακια) وهى عكس virtus. في وقت لاحق استخدم شيشرون vitiositas أو vitium في هذا المعنى بدلا من militia... راجع:
(Cicero.Tusc. Disp. IV, 34; De Fin. III, 39-40)

٢. معنى هذه الجملة مشكوك فيها. فالنص ربما يكون مؤلف

٣. يستخدم شيشرون في المناقشات التوسكولانية ثلاثة مصطلحات لاتينية مختلفة، على سبيل المثال، temperantia, moderatio, modestia, الرصانة والاعتدال وضبط النفس، لترجمة σωφροσυνη. راجع:
(Cicero. Tusc. Disp. III, 16)

٤. النص غير مؤكد والمعنى مشكوك فيه

٥١. وماذا عن هذا؟ وكيف يمكن أن نَصف بالعفَّة أولئك الذين يمتنعون عن الفاحشة خوفًا من الفضيحة، مع أن الفضيحة نفسها لا تأتي إلا بسبب قبح الفعل؟ فكيف يمكن لشيء أن يُمدَح بحق أو يُذم بحق إذا انفصل الحكم فيه عن طبيعته التي تجعل منه جديرًا بالمدح أو الذم؟

وهل تُعَدّ عيوب الجسد، إذا كانت ظاهرة جدًا، مثارًا للاستهجان، بينما لا تكون عيوب النفس كذلك؟ إن قبح النفس يُرى بوضوح من خلال رذائلها نفسها. فأي شيء أشنع من الطمع؟ وأي شيء أفظع من الشهوة الجامحة؟ وأي شيء أحقر من الجبن؟ وأي شيء أوطأ من البطء والبلادة؟ فهل نقول عن أولئك الذين يغلب عليهم رذيلة واحدة أو حتى عدة رذائل إنهم تعساء بسبب الخسائر أو الأضرار أو بعض الآلام، أم بسبب ما في الرذائل نفسها من قبح ووضاعة؟

وعلى هذا النحو يمكن أن تُقال أيضًا نفس الحُجة بالعكس على الثناء الممنوح للفضيلة: إن السعادة فيها تكون بسبب قوتها وجمالها في ذاتها.

٥٢. فإن كانت الفضيلة تُطلب من أجل أشياء أخرى، لزم أن يكون هناك ما هو أفضل من الفضيلة، فهل هو المال إذن، أم هو المناصب(الوظيفة العامة)، أم هو الجمال، أم هو الصحة؟ وكل هذه إن وُجدت فهي تافهة قليلة القيمة، ولا يمكن بحال أن يُعرف كم ستدوم. أم يكون ذلك – وهو أقبح ما يقال – المتعة (اللذة)؟ لكن الفضيلة تظهر على أتم وجه في احتقار المتعة ورفضها.

لكن حسنًا، هل ترى ما هي سلسلة الموضوعات والأفكار التي أمامنا، وما مدى ارتباطها ببعضها البعض؟ وفي الواقع إذا لم أجبر نفسي على التوقف، لكان ينبغي علي الاستمرار إلى أبعد من ذلك.

(٢٠) **كوينتوس:** إلى أي موضوع نرجو؟ ياأخي العزيز، وأشعر بسعادة غامرة لاتباعك فى مثل هذا النقاش.

ماركوس: إلى غاية الخير الأسمى، التي تُرجَع إليها كل الأمور، ومن أجل بلوغها ينبغي أن تُفعل جميع الأفعال. وهي مسألة موضع خلاف، مليئة بالجدال حتى بين أعلم العلماء، لكنها مع ذلك يجب أن يُفصل فيها يومًا ما.

٥٣. **أتيكوس:** وكيف يكون ذلك بعد موت لوكيوس جيليوس؟

ماركوس: وما علاقة (موته) بهذا الموضوع؟

أتيكوس: لأني أذكر أني سمعت عندما كنت في أثينا من "فايدروس" أستاذي أن جيليوس صديقك، حين جاء إلى اليونان بصفته حاكمًا بعد البريتور وكان مقيمًا في أثينا، قد اجتمع مع الفلاسفة الذين كانوا هناك في مكان واحد، ونصحهم بإلحاح أن يضعوا حدًّا لخلافاتهم ، وقال لهم: إن كانت نياتهم ألا يقضوا أعمارهم في الخصومات، فإن من الممكن أن يتفقوا، ووعدهم في الوقت نفسه أن يعينهم إذا أمكن أن يتوصلوا إلى وفاق فيما بينهم.

ماركوس: إنها حكاية طريفة يا "بومبونيوس"، وقد سخر منها كثيرون مرارًا. لكني كنت حقًا أتمنى أن أُجعل حكمًا بين الأكاديمية القديمة وزينون.

أتيكوس: وكيف ذلك؟

ماركوس: لأنهم يختلفون في مسألة واحدة فقط، أما في سائر الأمور فهم متفقون اتفاقًا عجيبًا.

أتيكوس: أتقول حقًّا؟ في مسألة واحدة فقط يقع الخلاف بينهما؟

٥٤. **ماركوس:** إنما هو خلاف واحد له صلة بالموضوع، فأعضاء الأكاديمية القديمة قرروا أن كل ما هو موافق للطبيعة، مما يساعدنا في حياتنا، يُعدّ خيرًا، أما زينون فلم يرَ خيرًا إلا فيما هو شريف (الفضيلة وحدها).

أتيكوس: وتسمي هذا خلافًا صغيرًا، وهو الذي يقلب الموازين كلها؟!

ماركوس: لو كان الخلاف في الحقيقة لا في الألفاظ لصدقت فيما تقول.[١]

(٢١) **أتيكوس:** إذن فأنت توافق أنطيوخوس صديقي (لا أجرؤ أن أسميه أستاذي)، الذي صحبتُه طويلًا، وهو الذي كاد أن ينتزعني من حدائقنا ليدخلني الأكاديمية بخطوات قليلة؟

ماركوس: لقد كان رجلًا حكيمًا وذكيًا ومثالي في تخصصه؛ وهو صديق لي كما تعلم. أما إن كنت أوافقه في كل شيء أم لا، فسأبينه لاحقًا. إنما أقول الآن: إن هذا الخلاف كله يمكن تسويته.

٥٥. **أتيكوس:** وكيف ترى ذلك ممكنًا؟

ماركوس: لأنه لو كان زينون – كما قال أريستون من كيوس – قد اعتبر الخير الوحيد هو ما كان شريفًا، والشر الوحيد ما كان قبيحًا، وجعل سائر الأشياء سواء لا فرق في حضورها أو غيابها، لكان في ذلك اختلاف عظيم عن "زينوقراطيس" و"أرسطو" وتلك المدرسة الأفلاطونية، ولكان بينهم خلاف جوهري في أعظم القضايا وفي منهج الحياة كله.

---

١ . بمعنى أنه لا يوجد فرق بسيط ، لكن لا يوجد فرق حقيقي.

والآن حقًا، الحال مختلف: فقد أكدت الأكاديمية القديمة أن الشرف هو الخير الأسمى، واعتبره (زينون) الخير الوحيد؛ وكذلك في المقابل، جعل العار (الرذيلة) الشر الوحيد كما جعلوه الشر الأقصى، وأما الثروة، والصحة، والجمال، وسائر المنافع، فقد سماها أمورًا "مفيدة" لا "خيرات"، وجعل الفقر، والضعف، والألم أمورًا "مضرّة" لا "شرورًا"، فهو إذن يرى نفس ما يراه زينوقراطيس وأرسطو، لكنه يعبّر عنه بغير ألفاظهم.

ومن هذا الاختلاف في الألفاظ لا في الحقائق وُلد النزاع حول الغاية القصوى للإنسان. وفي هذا، وكما أن "قانون الألواح الاثني عشر" منع أن يمتدّ حق التملك أكثر من خمسة أقدام، فكذلك لن نسمح لهذا الرجل الذكي[١] أن يغتصب ميراث الأكاديمية القديم، بل سنقيم ثلاثة حُكّام (كما نصّت القوانين) للفصل في الشريط الحدودي،[٢] لا واحدًا فقط وفق "قانون ماميِليوس" [٣].

٥٦.**كوينتوس:** ما القرار الذي نتخذه إذن؟

ماركوس: إنه يُستحسن أن نلتزم بالحدود التي وضعها سقراط وأن نطيعها.[٤]

كوينتوس: أحسنت يا أخي، فإنك الآن تستعمل ألفاظ القانون والحقوق المدنية، وهو مجال أنتظر منك حديثًا فيه، إذ كما عرفتُ منك مرارًا، هذه مسألة عظيمة الشأن، ولكن الحقيقة قائمة على أن العيش بحسب الطبيعة هو الخير الأسمى، أي التمتّع بحياة معتدلة ملائمة للفضيلة. وإن اتباع الطبيعة والعيش وفق "قانونها" معناه ألا يُقصِّر المرء – ما استطاع – عن نيل ما تطلبه الطبيعة.

---

١ . مثال ، زينون.

٢ . تم ترك هذا الشريط الحدودي فارغ لدوران المحراث وكطريق. ولا يمكن أبدًا الحصول على ملكيتها من قبل " مالك أرض بوضع اليد". ترتبط هذه الجملة مع الجملة السابقة عن طريق التلاعب بالكلمات ؛ الغاية تعني "النهاية" و "الحدود".

٣ . قانون "قانون ماميِليوس" (Lex Mamilia) أصدره القاضي "ماميليوس ليميتانوس"(Mamilius Limetanus) مع آخرين. الغرض منه التحقيق مع الرومان الذين اتُّهموا بتلقي رشاوى من "يوغرطة" (ملك نوميديا) خلال حرب "يوغرطة". وهناك " قانون ماميِليوس حول الحدود" وهو أقل شهرة ويظهر غالبًا في الكتابات القانونية الزراعية.... راجع:
OCD. (1979), s.v. Lex Mamilia.

4 . cf. Cicero, De Fin. IV. 14.

وتم قطع مناقشة هذا الموضوع بشكل مفاجئ في هذه المرحلة، لكن تم تناوله بالتفصيل في نهايةعمل آخر لشيشرون انظر:
Cicero, De Fin. IV. 14.

وبالمثل، تريد الطبيعة أن نعيش بحسب "قانون" الفضيلة، ولذلك فإني أشكّ في أن يُحسَم هذا النزاع، أو على الأقل ليس في هذا الحوار، إذا أردنا أن نُتمّ ما بدأنا فيه. [1]

٥٧. (٢٢) **أتيكوس:** أما أنا فقد كنت أميل إلى هذا الاتجاه من الحديث.

كوينتوس: سيكون لنا متسع لذلك في وقت آخر، أما الآن فلنكمل ما بدأناه، خاصةً وأن الخلاف حول الخير الأعظم والشر الأعظم لا صلة له بما نحن فيه.

ماركوس: لقد قلتَ، يا كوينتوس، كلامًا في غاية الحكمة. فإن ما ذكرتهُ حتى الآن...،

كوينتوس (مقاطعًا): ... لا أطلب فيه قوانين "ليكورجوس"، ولا قوانين "سولون"، ولا "كارونداس"، ولا "زاليوكس"، ولا حتى قوانيننا في الألواح الاثني عشر أو قرارات العامّة، بل أعتقد أنك ستمنح اليوم في حديثك هذا لا الشعوب وحدها، بل الأفراد أيضًا، شرائع للحياة ونظامًا للانضباط.

٥٨. **ماركوس:** إن ما تبحث عنه (تنتظره)، يا كوينتوس، هو في الحقيقة صميم هذا الحوار، وليت كانت لي القدرة الكاملة عليه! ولكن الأمر على هذا النحو: بما أن القانون يجب أن يكون مُصلِحًا للرذائل ومُعزِّزًا للفضائل، فلا بد أن تُستمدّ منه أيضًا قواعد الحياة، وهكذا تصبح الحكمة أمَّ كلّ الخيرات، ومنها اشتُقّ اسم "الفلسفة" من الكلمة اليونانية التي تعني حبّ الحكمة، ولم يمنح الآلهةُ الخالدون البشرَ شيئًا أوفر أو أزهى أو أسمى للحياة من الفلسفة، فهي وحدها التي علّمتنا، إلى جانب سائر الأمور، ذاك الذي هو أصعبها جميعًا: أن نعرف أنفسنا. وهذه الوصية من عظم شأنها وعمق معناها أن أُسنِدت لا إلى إنسانٍ بعينه، بل إلى إله دلفي نفسه.

٥٩. فمن عرف نفسه سيشعر أولًا بأنه يمتلك شيئًا إلهيًا، وسيظن أن فيه صورة أو نموذجًا مُكرَّسًا للآلهة، ومن ثم سيجد نفسه دائمًا مستحقًا لأن يفعل الخير وأن يشعر به، وعندما يتأمل ذاته ويمحصها بالكامل، سيدرك كيف خُلق من قبل الطبيعة للحياة، وما هي الأدوات التي يمتلكها لاكتساب الحكمة وتحقيقها؛ فمنذ البداية، استوعب عقله وفكره، كما لو كانا تصورًا أوليًا لكل الأشياء، طريقًا للمعرفة؛ وعندما يضيء العقل بالحكمة كمرشد، سيرى الرجل الصالح الخير، ولأجل ذلك نفسه سيعلم أنّه سيكون سعيدًا.

[1] . يحث كوينتوس شقيقه على العودة إلى موضوع القانون. إنه يحاول أن يوضح من خلال تقديم واستكمال الملخصات التي تم التوصل إليها أنه قد تم وضع أساس فلسفي كافٍ للنظر فيه.

٦٠.(٢٣) فمتى ما وصل العقل إلى المعرفة وتصور الفضائل، وتخلى عن عبودية الجسد وانغماسه فيها، وطرح المتعة كما لو كانت وصمة عار، وتخلص من كل خوف من الموت والألم، واتحد مع نفسه في محبة صافية، وأدرك جميع من يربطه بهم سمات (طبع) الطبيعة، وتبنى عبادات الآلهة والدين الخالص، ودرّب عقله كما تُدرّب العين لاختيار الخير ورفض ما يخالفه، وهى الفضيلة التى تُسمّى الحكمة،[١] فماذا يمكن أن يُقال أو يُتصور أكثر سعادة من ذلك؟

٦١. ومتى ما تأمل الإنسان السماء والأرض والبحار وطبيعة كل الأشياء، ورأى من أين وُلدت، وإلى أين ستعود، ومتى وكيف ستزول، وما فيها فاني وما فيها إلهي أبدي، وشاهد الإله الذي يديرها ويحكمها بعينه، وأدرك أنه ليس مواطنًا محصورًا داخل أسوار مدينة معينة أو تابعًا لشعب مكان محدد، بل يعتبر نفسه مواطنًا للعالم بأسره كما لو كان مدينة واحدة، عندها وفي هذا الإحساس بعظمة الأشياء، وفي هذا النظر والتفكير في الطبيعة، أيها الآلهة الخالدة، كيف سيعرف الإنسان نفسه! كما أوصاه أبولّون عبر عرافة دلفي "بيثيا"! كم سيحتقر، وكم سيزدري، وكم سيعتبر بلا قيمة كل تلك الأمور العظيمة التي يُشاد بها عادة بين الناس!

٦٢.(٢٤) وهذه الأمور كلّها سيحيطها بسياجٍ ما كأنّه حِصن، بعلم الجدل (فنّ المناقشة)، ومعرفة الحكم على الصواب والخطأ، وإدراك ما يتبع كل شيء وما هو ضده، ومتى ما شعر الإنسان أنه وُلد للعيش في المجتمع المدني، فلن يكتفي باستخدام هذا الفن الدقيق في النقاش فحسب، بل سيلجأ أيضًا إلى خطاب ممتد شامل،[٢] يضع به أسس حكم الشعوب، ويثبت به القوانين، ويعاقب به الأشرار، ويحمي به الصالحين، ويمدح الرجال البارزين، ويصدر توجيهات للنجاة والسعادة بطريقة مقنعة لمواطنيه، ويحث على الشرف، ويمنع عن الفجور، ويواسي المنكوبين، ويخلّد أعمال وحكم الأقوياء والحكماء مع فضائح الفاسدين في ذكرى أبدية. ومتى كانت هذه الأمور كلّها عظيمة وهائلة، ومرئية في الإنسان لمن أراد أن يعرف نفسه، سيجد أن الحكمة هي الأم والمربية لكل ذلك.

---

١ . قارن:.Cicero.De Re Pub. VI .1

٢ . أعمال شيشرون الفلسفية، على الرغم من أنه في نموذج الحوار، لا تستخدم المناقشة الجدلية (illa subtilis disputatio) إلا قليلاً، ولكن استخدم في معظم الأحيان خاصية الخطاب المتميز (المستمر) في مقال أو خطاب (perpetua oratio). ومغزاه هنا فيما يبدو أن هذه الأخيرة هى الأنسب لتعليم وإقناع إخوانه المواطنين.

أتيكوس: حقًا لقد مدحتها بجدارة وبصدق! لكن، ما علاقتها بهذا؟

٦٣. **ماركوس:** أولًا، يا "بومبونيوس"، لنتوجّه إلى تلك الأمور التي سنخوض فيها الآن، والتي نريد أن تكون عظيمة القدر؛ فإنها لن تكون كذلك، إلا إذا وُجدت تلك الأصول التي تفيض عنها، وكانت في غاية السعة والعظمة، ثم أفعل ذلك برضا، وكما أرجو، على الوجه الصحيح، لأني مرتبط بتلك (الدراسة) التي يستولي عليّ شغفها، والتي صنعتني ما أنا عليه، أيًّا ما كنت، فلا أستطيع أن أمر عليها بصمتٍ.

أتيكوس: لقد أحسنت فعلًا، وفعلت ذلك باستحقاق وبورع، وكان ينبغي، كما تقول، أن يُفعل ذلك في هذا الحديث.

وبهذا تنتهى ترجمة الكتاب الأول من عمل شيشرون "عن القوانين"، وإن كان فى العمر بقية سوف أكمل ترجمة الكتاب الثانى والثالث وأنشروهم في العدد القادم فى مجلة "أوراق كلاسيكية" في العام القادم إن شاء الله تعالى. وأسأل الله أن يجعله علمًا نافعًا.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

Cicero., (1943), De Re publica & De Legibus, trans. by Keyes, C. W. (L.C.L) London.

Plato., (1935), Republic, Translated by Paul Shorey., (L.C.L) London.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Atkins. W. J., (2013), Cicero on Politics and the Limits of Reason . The Republica and Laws. Cambridge University Press.

Cross. R. C., & Woozley. A. P., (1970), Plato's Republic A philosophical Commentary . London.

Keyes. C. W., (1998), Cicero: On the Republic, On the Laws, Cambridge.

Hammond.N.G.L., Scullard.H.H., (1979), The Oxford Classical Dictionary, Second Edition. Oxford.

Mackendrick.Paul., (1989), The Philosophical work of Cicero. Backworth . London.

Powell. J. G. F.,(2001), " Were Cicero’s Laws the Laws of Cicero’s Republic? ",

in Powell.J.G.F., and North. J. A., (eds.), Cicero's Republic, London. PP.17–39.

Powell. J. G. F., (2006), M. Tulli Ciceronis De re publica, De legibus, Cato maior de senectute. Laelius de amicitia, Oxford.

Schmidt. P. L., (2001), "The Original Version of De re publica and De legibus,"in Powell.J.G.F., and North. J. A.,(eds.), Cicero's Republic, London.PP.7–16.

Zetzel. J., (2017), On the Commonwealth and On the Laws. 2nd ed. Cambridge: Cambridge University Press.

ثالثًا: المراجع العربية:

أحمد عتمان (١٩٨٩)، الأدب اللاتينى ودروه الحضارى حتى نهاية العصر الذهبى، عالم المعرفة، العدد١٤١، الكويت.

جمال الدين السيد أبو الوفا، على عبد التواب على (٢٠٢٤)، " إطلالة على جمهورية شيشرون""، مجلة أوراق كلاسيكية، العدد الحادى والعشرون، القاهرة. ص ٢٧٩–٣١٩.

د ف. ج. و (١٩٦٤)، تاريخ الأدب الرومانى، ترجمة: محمد سليم سالم، راجعه: محمد صقر خفاجة، مركز كتب الشرق الأوسط، ج٢، القاهرة.